(٣)

كلمة الأستاذ إبراهيم الترزي

الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة
وعضو مجلس إدارة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

الأستاذة الجليلة الدكتورة صالحة سُنْقر وزيرة التعليم العالي :

الأستاذ الجليل الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع :

أيها السادة الأساتذة الأجلاء :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد فقد شَرَّفني شيخُ المجمعيِّين ، أستاذي الجليل الدكتور إبراهيم مدكور رئيسُ اتحاد المجامع ، وأستاذي الجليل الدكتور شوقي ضيف أمينُه العام ، بأن أُنوب عنهما في هذه الندوة التي شَرُفَتْ بأن ضَيَّفَها – مشكوراً – مجمعُكم العريق ، حيث تُعقد في دمشقَ الفيحاء إحدى العَواتِكِ من أُمهات بلادنا العربية.. كم شُدَّتْ إليها رواحل العلماء والأدباء ، وكم خَفَقَتْ فوق رُباها أجنحةُ الشعراء ، تَنْثُرُ عليها نَديَّ الأغاريد ، فَوّاحةً بأريج الأُمنيات ، صَدَّاحةً بهوى قلوبٍ تهفو إلى رحابها الغَنّاءِ الغَرّاء .. فالبحتريُّ يَصْدَحُ مَتَغَنِّياً بجمالها ويقول :

أمّا دمشقُ فقد أَبْدَتْ محاسِنَها ... وقد وَفَى لك مُطريها بما وَعَدا
إذا أردتَ مَلأْتَ العينَ من بلدٍ ... مُسْتَحْسَنٍ .. وزمانٍ يُشْبِهُ البلدا
يُمْسِي السحابُ على أجبالها فِرَقاً ... ويُصْبِحُ النَّبْتُ في صحرائها بَدَدا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فلستَ تُبصر إلاَّ واكفاً خَضِلاً أو يانعاً خَضِراً ، أو طائراً غَرِدا

وفي عصرنا الحديث يتغنَّى بها أحمد شوقي أمير الشعراء ، ويقول :

لولا دمشقُ لَمَا كانت طُلَيْطِلةٌ ولا زَهَتْ ببني العباسِ بَغْدانُ
قال الرِّفاقُ وقد هَبَّتْ خمائلُها الأرضُ دارٌ لها الفيحاء بُستانُ
جَرَى وصَفَّقَ يلقانا بها بَرَدَى كما تَلَقَّاك دُونَ الخُلْدِ رِضْوانُ
يا فِتْيَةَ الشامِ شكراً لا انقضاءَ له لو أَنَّ إحسانَكم يَجْزِيه شُكرانُ

أيها السادة :

كان انطلاقُ الشرارةِ الأولى بدايةً لانطلاقِ حضارة الإنسان .. ثم كان اكتشافُ النِّفْطِ تجديداً لانطلاق هذه الحضارة ، وتطويراً لها في مختلف مجالات العلم بكشوفه ومخترعاته ؛ حتى صار النفطُ سَيِّدَ مصادر الطاقة ، وامتلك صولجانَ القوةِ والرخاء !

وقد أَفاء اللهُ على وطننا العربيِّ من كُنُوز هذا الذهب الأسود ما يبلغ نصفَ ما في العالم كلِّه . وقد كان جديراً بنا أن نتحدَّث بنعمة اللهِ علينا ؛ فتنهض عزائمنا للإفادة منه ، علماً وصناعة ، وقوةً ومَنَعة ، لا استيراداً لذلك من بلادٍ أخرى لا تُضْمِرُ أرضُها مثلَ هذه الكنوز ، وقد تُضْمِرُ لنا العَداوة والبغضاء !

فلنتحدَّثْ بنعمة الله علينا ، فنجعل كُنُوزَ ذهبِنا الأسودِ مصدراً لطاقاتٍ خَلاَّقةٍ في العلم والصناعة ؛ لتكونَ حضارتُنا عربيةَ الوجه واليد واللسان ، وتَتَبوَّأَ من جديد مكانتَها الجديرة بها ؛ من العزةِ والشرفِ والسِّيادة !

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أيها السادة :

قُمتُ برحلةٍ كشفيةٍ لغوية ؛ للتنقيبِ عن مادة « النِّفْط » ، في المعجمات والموسوعات ، وكتب البلدان والرحلات . فوجدتُها تضربُ بجذور عريقةٍ عميقةٍ في لغتنا العربية ، تعود إلى العصر الجاهلي ، وهي في القديم لا تَبْعُدُ في مدلولها العامِّ عن معناها في عصرنا الحديث .

فمما ورد في المعجمات اللغوية القديمة : نَفَطَ فلان : احترق غضباً والنُّفَطة : سريع الغضب . ونَفَطَتِ القِدْرُ : غَلَتْ حتى رَمَتْ بالزَّبَد .

والنَّفّاطة : موضعُ استخراجِ النفط ، وضربٌ من السُّرُج يُسْتَصْبَحُ وأداةٌ تُعْمَلُ من النحاس يُرمَى فيها بالنفط والنار ، وقارورةُ النفطِ التي يُرْمَى بها . والنَّفّاط : الرامي بالنفط ، جمعُه النَّفّاطة .

وقد خَطَّأَ الأصمعيُّ مَنْ فتح نُونَ النِّفط ، ورَوَى قولَ الراجز :

كأنَّ بـين إبْطِـهـا والإبْطِ ثَـوْبـاً من الثُّـوم ثَـوَى في نِفْطِ

وقد كان العرب في جاهليتهم يَطْلُون إبلَهم الجَرْبَى بالكِبْريت والخَضْخاض وهو نوعٌ من النِّفْط أسودُ رقيق .

وذكر الطبريُّ في تاريخه أن الخليفةَ المنصورَ العباسيَّ لما عزم على بناء بغداد أَحَبَّ أن ينظر إليها عياناً . فَأَمَرَ أن يخطَّ بالرماد ، ثم أقبل يدخلُ من كل باب ، ويَمُرُّ في فُصْلانها وطاقاتها ورحابها ، وهي مخطوطة بالرماد ... فلما فعل ذلك أَمر أن يُجْعَلَ على تلك الخطوط حَبَّ القطن ، ويُصَبَّ عليه النِّفط ، فنظر والنار تشتعل ، ففهمها وعرف رسمها ، وأمر بأن يُحفر أساس ذلك على ما رسم ، ثم ابتدى في بنائها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال الحسن الوزّان في كتابه « وصف إفريقيا » :

« القَطِرانُ نوعان : نوع طبيعي يُلْقَط من فوق أحجار تُوجَد في قلب بعض العيون التي يَنْشُرُ ماؤها رائحةً كريهةً جدّاً ... » وهي يعني بذلك النفط .

وورد في صبح الأعشى :

«وبها – أي بالديار المصرية – معدنُ النفط على ساحل بحر القُلْزُم، يَسيلُ دهنُه من أعلى جبلٍ قليلاً قليلاً ، وينزل إلى أسفله ، فيتحصَّلُ في دَبَارٍ – أو قنوات – قد وضعها له الأَوَّلُون ، وتأتي العربُ فتحمله إلى خزائن السلاح السلطانية » .

وقد وردت إشاراتٌ عديدةٌ في كتب الرحلات العربية إلى النفط ؛ منها ما ذكره ابن جبير حين مرَّ بمدينة تكريت :

« مررنا بموضع يُعرف بالقيّارة من دجلة ، بالجانب الشرقيّ منها ، عن يمين الطريق إلى الموصل ، فيه وَهْدة من الأرض سوداء ، كأنها سحابة ، قد أَنْبَطَ اللهُ فيها عيوناً كباراً وصغاراً تنبع بالقار ، وربما يقذف بعضها بحَبابٍ منه كأنه العَلَيان ... » .

وتذكر دائرة المعارف البريطانية أن العرب اهتموا بزيت البترول الخام وخاصة بتقطيره للاستعمال في الإنارة ، كما تذكر أن صناعة تقطير البترول الخام قد انتقلت من العرب إلى أوربا من القرن الثاني عشر ، عن طريق إسبانيا ... حيث تَوَسَّعُوا في عمليات التقطير ، وتطوير صناعة الإنارة في أوربا في بداية عصر النهضة .

وقد غزا لفظ « النفط » عالم الأسماء ؛ فلُقِّبَ بـ « نفطويه » عالم من علماء النحو البارزين ، هو إبراهيم بن محمد بن عرفة ، وقد لُقِّب به على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مثال سيبويه ؛ لأنه يجري على طريقة سيبويه في النحو ، ويؤيد مذهبه ، ولأنه كان ساذجَ الثياب ، لا يُعْنَى بإصلاح نفسه وهيئته ، وكانت فيه دمامة وأدمة وفي نفطويه قال أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطيّ :

أحرقه الله بنصف اسمه وصَيَّر الباقي صُراخاً عليه

ونفطويه – إلى علمه بالنحو – شاعر رقيق ، ومن شعره في الرَّدِّ على مَنْ عابوا دمامته :

وقالوا : شانه الجُدَرِيُّ فانْظُرْ إلى وجهٍ به أثَرُ الكُلُومِ
فقلتُ : ملاحةٌ نُثِرَتْ عليه وما حُسْنُ السماءِ بلا نُجُومِ ؟

أيها السادة :

لمجمعكم في القاهرة جهود متواصلة في مصطلحات النِّفط ، منذ سنين عديدة ، ولجنته برئاسة مقررها زميلنا الأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن قد جمعت حصادها في معجم ضخم لمصطلحات النفط ، هو الذي بين أيديكم ، والذي يُعَدُّ أساسَ البحث في هذه الندوة ، وقد سبقها من قبلُ ندوةٌ للنفط عقدها اتحاد مجامعنا في بغداد عام ثلاثة وسبعين وتسعمئة وألف ، ونرجو أن تكون هذه وتلك الركيزةَ الأُولى لتوحيد المصطلح النفطيِّ في عالمنا العربيّ .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net